صنف نفسك

أحمد الكناني

مؤسسة الأوراق الثقافيّة للنّشر الإلكتروني

حقوق النسخ والانتفاع بالكتاب بأي صورة إلكترونية أو ورقية أو أي وسيلة أخرى
محفوظة لمنصة أوراق عربية ويُحظر تداول المادة بأي شكل دون إذن من النّاشر أو المؤلف

١٤٤٤ هـ
٢٠٢٣م

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة الأوراق الثقافية للنشر الإلكتروني ترخيص وزارة الإعلام رقم ()
جدة – المملكة العربية السعودية
هاتف: (٠٥٤٤٥٠٢٤٨٣)
البريد الإلكتروني للمؤسسة والمنصة:aawraq٢٠٣٠@gmail.com
تصميم الغلاف: عمر الزهراني (aawraq٢٠٣٠@gmail.com)
ردمك: ()
جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمنصة (أوراق عربية)
حقوق النشر الخاصة بالكتاب محوظة للمؤلف
تنبيه:
الآراء المنشورة في الكتاب تعبر عن رأي المؤلف ومنصة (أوراق عربية) لا تتحمل أي مسؤولية أدبية أو قانونية مترتبة عليها.

صنف نفسك

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

طُبع هذا الكتاب قبل سنوات عدّة طبعات ، وقد لقي بحمدالله استحسان الكثير، لسهولة مأخذه، وأهميّة فكرته، والتبسّط في عرضه، وقبل ذلك توفيق الله تعالى.

وهو في أصله ترجمة لفكرة حاولت بها أن اشرح لنفسي كيف يمكن أن أكون منتجاً في أمور الآخرة كما أكون منتجاً في أمور الدّنيا.

ووجدت أنّنا في أمر الآخرة نغفل استعمال التقنيات الإداريّة التي يفاخر بها اليوم كثيرون وهي موجودة في صميم تراثنا الإسلامي ، وجاءت عمليّة في سيرة النّبيّ ﷺ نفسه.

وتبيّن لي أنّ أهمّ عنصر ساهم في نجاح أيّ مشروع دنيوي أو أخروي هو التّصنيف والتميز.

الحرص على معرفة خصائص الأشياء من حولي والمعطيات والظروف التّي تحيط بي كعوامل استطيع من خلال توظيفها كلّها الوصول إلى قمّة الأداء سواء في أمور الدّنيا أو الآخرة.

خاصّة أمر الآخرة ، كيف يمكن أن أصل إلى البذل في أمر الآخرة بأقصى ما يمكنني إلاّ بمعرفة الطرق الّتي أتاحها الإسلام ونوّعها لتناسب كلّ القدرات والظروف والخصائص لمن أراد السير إلى الله.

فكان هذا الكتاب اللطيف نتاج هذه القراءة السريعة في السنة النبوية اسأل الله أن ينفع بهذه الطبعة كما نفع بسابقاتها، وصلّى الله على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم .

مقدمة

الحمدلله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

اشتغل كثير منّا بتصنيف النّاس، وتوزيع الألقاب، وتقسيم الفرق والأحزاب، ونسبة النّاس إليها، بعلم أحياناً، وبالظّنّ في أحيان كثيرة.

ولا شكّ أنّ تمييز أهل الباطل أمر مرغوب فيه شرعاً حتى يحذر الناس منهم

وهو منهج السلف الصالح رحمهم اللّه، لكن ليس بهذا الشكل المُحدث الذي حوّل التّصنيف من وسيلة علميّة إلى غاية وشهوة، ولهذا رضي كثير منّا من أنفسهم بالتّصنيف السّلبي الّذي ليس وراءه عمل ولا ثمرة.

وشتّان بين فعالنا هذه وبين فعل السّلف الصّالح، فالفرق بيننا وبين السّلف فرق شاسع، بيننا وبينهم بون هائل طويل بطول ما يفصلنا عنهم من السنين والأيام، وقد أبان طرفاً منه ابن رجب رحمه الله في كتابه (**فضل علم السلف على علم الخلف**).

فالسلف قلّ كلامُهم وكثر عَملُهم، وأمّا الخلف –من أمثالنا– فكثُر كلامهم، وقلّ عملهم، فنزعت البركة من أوقاتهم وأعمالهم.

ولّما كان العمل للآخرة هو مقصود السلّف الصّالح رحمهم الله فإنّهم كانوا يبدؤون بتصنيف أنفسهم قبل غيرهم ، فهم على معرفة أنفسهم أشدّ حرصاً من معرفة غيرهم، ومن ثمّ يشرعون في تحليلها، و البدء في علاجها، وذلك بتصنيف قدراتها وإراداتها، فيعمل كلٌّ حسب ما خلق الله وأوجده فيه ، وحسب ما أودعه الله وحباه له، فيستغلّ كلّ طاقة ومهارة وإبداع في سبيل تحقيق مرضاة الله، فلا تعجب من أنّ تلك القرون المفضّلة حوت من المبدعين في كل مجال ما لا يحصره كتاب.

وكلّما تشعّبت الثقافات وتفرّعت فروع العلم ومجالات العمل كلّما عظمت الحاجة إلى التصنيف، ورأيت كيف يُستخدم في الإنتاج لا التّخريب، في البناء لا في الهدم.

وقد عنّ لي أن أكتب هذه الكلمات داعياً نفسي إخواني أن يشتغل كلٌّ بخاصة نفسه فيعمل على إصلاحها، فإنّ هذا الدّخن والله ما كان ولم يكن له أن يكون لولا قدر من الله سبق، ثمّ فساد أنفسنا، وما أوضع الشّيطان خلالنا من الأمراض النّفسيّة والعوائق الّتي يشغلنا بها عن البناء والإنتاج.

وداعياً نفسي وإخواني أن يعرف كلّ منّا قدر نفسه، فلا يضعها موضعاً يزري بها فيه، كما لا يحمّلها ما لا طاقة لها به فيكلّف نفسه ما لم يهبه الله له، ويتشبّع بما لم يُعط فيكون كلابس ثوبي زور.

بل يعرف قدراته، ويحدد قصده، وهدفه، والوسائل الملائمة له اللازمة للوصول إلى الغاية المنشودة، على أن يكون ذلك كله في سبيل نيل الغاية العظمى والهدف الأسمى والأنبل وهو رضا الله سبحانه وتعالى، وهو المسؤول جل شأنه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وأن يجعل كلامنا حجة لنا لا علينا، والحمد لله في الأولى والآخرة.

التصنيف ليس اكتشافا عصرياً !

ليس التّصنيف بدعاً من القول أو العمل، بل قد جاء في سنّة المصطفى ﷺ وسيرته مع أصحابه الكثير من ذلك.

فإن النبي ﷺ كان قد عرف أصحابه وقدراتهم وطاقاتهم، فكان يضع كلّ واحد في الموضع الّذي ينتج فيه أكثر، حتّى ولو كان على حساب جانب آخر.

فعلى سبيل التمثيل :

خصّص ﷺ بعض الصّحابة لكتابة الوحي، لأنّهم كتّاب ومهرة، وفيهم الأمانة على ما يكتبون، منهم عبد الله بن عمرو بن العاص، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهم.

أجزمُ أنّه لم يمرّ على البشريّة إبداع في التصنيف كما أبدع فيه النّبيّ ﷺ وأصحابه

وجعل بعض أصحابه لقيادة الجيوش ؛ لمعرفتهم وخبراتهم الحربية ، وحنكتهم في قيادة الحروب وتصريف شؤونها، ومن أشهرهم خالد بن الوليد، وأبو عبيدة عامر بن الجرّاح، وسعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهم.

وبعض أصحابه كان متخصّصاً في الجانب الإعلامي: فالشّعر عليه حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وفي الخطابة ثابت بن قيس، وسعد بن عبادة، رضي الله عنهم.

وبعض أصحابه كان حافظاً، مواظباً، متفرغاً للعلم، لا يشغله عن ذلك مال ولا أهل، فهيّأه النبي ﷺ ليكون أميناً على السنّة جامعاً لها، وأشهرهم أبو هريرة وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

ومنهم من أوتي الفقه والقدرة على الفتيا، كالخلفاء الأربعة الّذين أُمرت الأمّة باتّباع سنّتهم، وابن عمر، وابن عمرو، وابن عبّاس، ومعاذ ابن جبل، وأبي ذر، وابن مسعود، رضي الله عنهم.

ومنهم من جمع القرآن وكان حجّة فيه، كزيد بن ثابت الأنصاري الّذي وكل إليه أبو بكر وعثمان جمع القرآن، كما كان منهم المتمكّن في القراءة المتقن لها، حتّى حثّ النبي ﷺ على أن يُقرأ القرآن على قراءته كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ومنهم من كان ذا فطنة، وأمانة، وقدرة على سياسة النّاس، فكان يولّيهم أعمال البلاد، منهم أبو هريرة، والعلاء بن الحضرمي، وعلى، رضي الله عنهم.

ومنهم ذو القدرة على الإقناع والحوار والدّعوة، كمصعب بن عمير، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، رضي الله عنهم[1].

ومنهم من كان ذا مكانة في المسلمين سناً، وقدراً، وعلماً، وإيماناً، فكانوا وزراءه وأهل استشارته، وهم خلفاؤه، رضي الله عنهم.

---

(١) تلاحظ هنا أن الثلاثة من الشباب المتصفين بالعلم، ولم يكن يشغلهم أهل ولا مال، حتى إن معاذاً رضي الله عنه لم يكن جاوز الخامسة والعشرين من عمره، وليس المراد من وصفهم بذلك أن غيرهم لم يكن به تلك الأوصاف، غير أنه ثبت عن عمر رضي الله عنه قوله: «من أراد الفقه فليأت معاذ بن جبل»، انظر سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٢).